الفصل الثانى

إبراهيم عليه السلام والأصنام

- الإنسان بفطرته يبحث عن الله.
- الله تعالى أعلى من الإدراك.
- عبادة الأوثان.
- إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام.
- إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام.

وأستطاع الشيطان أن يصيب عقائد بنى آدم بالعطب والفساد حتى عبدوا غير الله. ففى زمن نوح وإبراهيم عليهما السلام عبدوا الأوثان والأصنام وفى زمن موسى عليه السلام عبدوا الملوك والحكام وفى زمن عيسى عليه السلام عبدوا القوانين والأسباب. ولكن الله تعالى تداركهم برحمته فأرسل الرسل ليصححوا للناس عقائدهم ويعيدوهم إلى طريق الهداية والرشاد. فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام. وهذا كليم الله موسى عليه السلام يدمر فرعون والمتالهين من البشر. وهذا عيسى عليه السلام يخرق الأسباب والقوانين بإذن الله. ليدل الناس على أن الله هو الفعال لما يريد. لأنه تعالى مُسن القوانين ومُسبب الأسباب. ومع مسن القوانين لاقانون. ومع مسبب الأسباب لا أسباب. ومع مكيف الكيفيات لا يقال كيف.

فكيف تم ذلك؟ وكيف عالج الحق تبارك وتعالى هذه الأمور الشركية؟.

هذا ما سنعرضه فى الفصول الثلاثة القادمة. حيث سنعرض فى بساطة ويسر طرق الشيطان فى الإغواء وطرق الله فى المعالجة. من خلال إرسال الرسل الذين يردون الناس إلى سبيل الحق وساحة الصدق.

● **الإنسان بفطرته يبحث عن الله:**

لا شك أن الكون بكل ما فيه من آلاء وآيات ونعم تستعصى عن الإدراك تلفت نظر وانتباه كل ذى بصر أو بصيرة. نحو التأمل والتفكير العميق فى غاية هذا الوجود. وفى محاولة معرفة الخلاق العليم الذى أوجده وأحكم خلقه وأبدع صنعه بهذا الجمال وهذه الضخامة. فلو اجتمع كل علماء الطبيعة والأحياء والكيمياء والفلك والطب ومختلف فروع العلم لكى يدركوا ما فى الكون من إبداع وترتيب وقدرة لما استطاعوا أن يحيطوا ولو بجزئية من أجزاء مخلوق من المخلوقات. ولعادوا حاسرين عاجزين. فضلا عن خلقه وإبداعه.

فالسماء وما فيها والأرض وما فيها وما عليها والفضاء وما يحتويه والبحار والأنهار. والأحياء الزاحفة والطائرة والتى تمشى على رجلين أو أربع.

وكل ذلك يدل على تناسق وترتيب يستحيل معه العبث كما تقدم. ويحرك الإنسان ويحدو به منذ بدأ الخليقة نحو تحسس الغاية التى من أجلها خُلق الوجود. والتطلع إلى معرفة الخلاق العليم الذى أبدع وصور. ولكن العقل والحواس. تقف

عاجزة عن إدراك تلك المخلوقات نفسها فكيف تدرك الخالق سبحانه وتعالى.. فلو فكر الإنسان فى نهايات السماء لوقف عاجزاً. ولو فكر فى حقيقة الروح لوقف عاجزاً ولو فكر فى معانى الموت لوقف عاجزاً. فكيف يتطلع من وقف عاجزاً عن إدراك المخلوقات من حوله. وفى حقيقة نفسه. إلى إدراك الخلاق العليم المبدع لكل ذلك الإعجاز.

فالعقل يصل بنا إلى إدراك وجود الخالق وضرورته ولكنه لا يدخل بنا عليه. ففى كل تلك الآيات دلالة وعلامة على وجوده سبحانه. ولكن ما هو اسمه؟ وما هى صفاته؟ وما هى مطلوباته؟ لا أحد يعلم إلا هو سبحانه.. وليس عدم الإدراك دليلٌ على انعدام الوجود.. لأننا كما سبق ننتفع بأشياء كثيرة لا ندرى كنهها أو حقيقتها فمثلاً الروح والكهرباء والجاذبية والأثير. فكل ذلك ما هو؟ لا ندرى ولكننا ندرك آثارها فى حياتنا ومن حولنا.

علم عليم وعقل عاقل اختلفا — من ذا الذى قد أدرك الشرفا
العلم قال أنا أحرزت غايته — والعقل قال أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم أفصاحا وقال له — بأينا الله فى فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده — فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

ويضرب الشيخ الشعراوى لذلك مثلاً: فلو أن مجموعة من الأشخاص يجلسون فى غرفة. ثم طرق طارق الباب فالكل يعلم ويوقن أن هناك طارق بالباب. ولكن من هو هذا الطارق؟ وهل هو رجل أم امرأة؟ وما هى حاجته؟ فلا أحد يعلم.. ولو حاولنا أن نخمن شخصه أو أن نحدد صفاته لاختلفنا فى ذلك كل الأختلاف. فإذا أردنا أن نصل إلى اليقين فى أمره. فعلينا أن نفتح الباب. لنعرف الحقيقة من خلاله هو. ولله المثل الأعلى. لأن العقل والحواس تعطينا مقدمات لا حصر لها على وجود الخلاق العليم وضرورته. ولكن هذا العقل وتلك الحواس لا تدخل بنا عليه. لكى تعرفنا صفاته التى تتعالى عن الإدراك.

فإذا أردنا أن نتعرف عليه سبحانه. فعلينا أن ننتظر منه رسولاً ووحيًا يقدم لنا المعرفة الصحيحة.. ومن هنا وجد الخلل. فالإنسان لا ينتظر ويظن انه قادرٌ على الإدراك. فيدخل ويلج الباب. وهو لا يدرى أنه يدخل على المستحيل. فتتناوبه

الخيالات والشطحات والتخمينات ومع ذلك يظن أنه على شيء. ومن هنا وجدت كل تلك العبادات والمعبودات. فالكل يتحسس ويحاول ولكنه لا يملك إلا الظن.

فمرة نجد الإنسان يعبد النجوم والكواكب ويظن أنها رموز لقوى خفية تحركها وتضبط شئونها. وتارة يعبد ما يخاف ظناً منه أن عبادته له سوف تقيه شروره. وتارة يعبد ما يحب ويرتجى نفعه استكثاراً لخيره. وهو يظن أن لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلها يحكمها وينظم أمورها. فالسماء إله. وللأرض إله. وللخير إله وللشر إله وللرياح إله وللمطر إله، وهكذا تعددت الآلهة بتعدد ظواهر الطبيعة. وهم لا يدركون بعد بعقولهم القاصرة. أنه لا يوجد سوى إله واحد هو خالق الجميع ومبدع الجميع والكل محتاج لمدده ورزقه وقدرته. ولو منع عنهم رزقه لماتوا جوعاً وعطشاً من فورهم.

سائلوا العين هل ترين الله ... هل ترين الذى كسا الكون جاها؟
هل ترين الذى كسا الكون نوراً ... فوق نور بحيث لا يتناهى؟
هل ترين الذى أراك جمالاً ... يمتع الروح والسماء بناها
سائلوا العين هل ترين قديراً ... بدأ الخلق نطفة سوها؟
وبنى الكون فى نظام عجيب ... يبهر الناظر الذى يتباهى
سائلوا العين هل ترين حكيما ... لا تراه العيون لكن يراها؟
ليس لله فى الخلائق مثل ... فإذا كان لا يكون إلها؟
هو فى الذات والصفات نزيه ... عن شبيه إذا المعاند شاها
أيها العقل قد عراك قصور ... فهذه الأرض لا تريك مداها
وكذا الأفق فيه كل عجيب ... جعل الفكر فيه حار وتاها
وكذا أنت أنت سر عجيب ... لست تدرى فكيف تدرى الله؟
أيها الفكر سبح الله واذكر ... وتأمل فى كونه تتناهى
وتوسل به تجده نصيراً ... لك فى الضيق إذ يرى لك جاها
من قديم الزمان والناس طرا ... يعبدون طعاما وطينا ثم ناراً

يقدسون لظاها

فيكون آخر عهده به. وأول عهده به. ولهذا قالوا لما بعث النبى ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. قال أبو رجاء العُطارِدىّ: كنا نعبد الحجر فى الجاهلية. فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه. فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثية من تراب. ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه. ثم طفنا به. وكذا نعهد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمنا ثم نلقيه.

وكان عمرو بن الجموح سيد من سادات بنى سلمة وشريفًا من أشرافهم وكان قد اتخذ فى داره صنمًا من خشب يقال له مناة يعظمه ويظهره. فلما أسلم ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن جبل. كانوا يدلجون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه فى بعض الحفر وفيها الأوساخ والقاذروات. فإذا أصبح عمرو يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبة ثم قال: والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخذيته. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك. فيغدو فيلتمسه فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى. وبعد مرات جاء بسيفه فعلقه عليه. وقال: إن كان فيك خير فامتنع بهذا السيف معك. فلما أمسى ونام. غدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه. ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى البئر. وغدا عمرو فلم يجده. فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه. وكلمه من أسلم من قومه. أسلم وحسن إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره. وهو يشكر الله أن أنقذه مما كان فيه:

والله لو كنت إلهـــا لم تكن	**أنت وكلبٌ وسط بئـر فى قَـرَنْ**
أف لملقـاك إلهـا مُـسْـتَـدَنْ	**الآن فـتـشناك عن سـوء الغَـبَنْ**
الحـــمــــدلله العلـى ذى المنَنْ	**الـواهـب الـرزاق ديَّـان الـدِّيـن**
هو الذى أنقـذنى من قـبل أن	**أكـون فى ظلمـة قـبـر مُـرتـهن**

● **إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام:**

ولد إبراهيم ونشأ فى عصر يعبد قومه الأصنام. بل كان أبوه وعمه صانعين لها.. وكانت هناك فئة أخرى تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر. وفئة ثالثة تعبد الملوك والحكام. وقد أطفئت أنوار العقل فى مشارق الأرض ومغاربها. وجلس

الظلام على عروشه المتعددة واشتد ظمأ الأرض إلى الرحمة. واشتد جوعها إلى الحق. وفى هذا الجو ولد ونشأ إبراهيم. وقدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وظنون الكهنة. وعبدة النجوم والكواكب. والحكام المتألهين. وكل أنواع الشرك القائم[1].

فمنذ الطفولة يسأل عن هذه الأصنام. فيقولون له إنها تماثيل الآلهة. ويدهش إبراهيم ويحس داخل عقله المضيء بالرفض. فقد كان يلعب وهو طفل بهذه التماثيل ويمتطى ظهورها. مثلما يمتطى الناس ظهور الحمير والبغال. وأمره أبوه يومًا ألا يلعب بهذه التماثيل. ويتعجب الطفل من هذه الآلهة الكثيرة المصنعة من الخشب أو الحجر. والتى يصنعها الإنسان العاقل بيده ثم يسجد لها بعد ذلك وهو أحق منها بذلك – ولعياذ بالله – لأنه صانعها. ثم إنه حى يأكل ويشرب ويتنفس. وينفع غيره ويضره. أما هى فميته. لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تدافع عن نفسها. ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جانبها. وعذب التفكير إبراهيم طويلاً.

وكان فى وسط المحراب توضع تماثيل أكبر الآلهة. وكانت هذه الآلهة أصنافًا وأنواعًا وأشكالاً. وكان يشعر لها باحتقار عظيم. ولكن المدهش هو الناس الذين ما أن يدخلوا المعبد حتى يخفضوا رؤوسهم ويحنوا ظهورهم بل ويبكون. ويسألون. وهى لا تسمع ولا تفهم. والمنظر يبدو مضحكا. ولكنه بدأ يحس بالغضب. بل ويصرح باحتقاره وكراهيته وثورته على ما يحدث فقال لهم: ﴿ **مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ويسألهم ﴿ **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴾ [الشعراء: ٧٣] ويسأل أباه ﴿ **قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٤٢].

وقد دخل إبراهيم عليه السلام على أمه مهمومًا محزونًا وسألها فى اهتمام بالغ: يا أمى من ربى؟ قالت: أنا ربك. ألست مربيتك ومطعمتك وساقيتك وراعيتك. فسألها: ومن ربك أنت؟ قالت: أبوك. فهو الذى يرعانا ويطعمنا ويسقينا. فسألها: ومن رب أبى؟ فهو يريد أن يصل إلى الرب الأعلى وإلى الرب غير المربوب الذى يُطعِم

---

(١) أنبياء الله – أحمد بهجت.

فيكون آخر عهده به. وأول عهده به. ولهذا قالوا لما بعث النبى ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. قال أبو رجاء العُطاردىّ: كنا نعبد الحجر فى الجاهلية. فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه. فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثية من تراب. ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه. ثم طفنا به. وكذا نعهد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمنا ثم نلقيه.

وكان عمرو بن الجموح سيد من سادات بنى سلمة وشريفًا من أشرافهم وكان قد اتخذ فى داره صنمًا من خشب يقال له مناة يعظمه ويظهره. فلما أسلم ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن جبل. كانوا يدلجون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه فى بعض الحفر وفيها الأوساخ والقاذورات. فإذا أصبح عمرو يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبة ثم قال: والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخذيته. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك. فيغدو فيلتمسه فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى. وبعد مرات جاء بسيفه فعلقه عليه. وقال: إن كان فيك خير فامتنع بهذا السيف معك. فلما أمسى ونام. غدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه. ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في البئر. وغدا عمرو فلم يجده. فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه. وكلمه من أسلم من قومه. أسلم وحسن إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره. وهو يشكر الله أن أنقذه مما كان فيه:

والله لو كنت إلهـــا لم تكن ... أنت وكلبٌ وسط بئر فى قَرَنْ
أف لملقاك إلهـا مُسْتَدَنْ ... الآن فتشناك عن سوء الغَبَنْ
الحمـــدلله العلى ذى المنْ ... الواهب الرزاق ديَّان الدِّين
هو الذى أنقذنى من قبل أن ... أكون فى ظلمة قبر مُرتهن

● **إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام:**

ولد إبراهيم ونشأ فى عصر يعبد قومه الأصنام. بل كان أبوه وعمه صانعين لها.. وكانت هناك فئة أخرى تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر. وفئة ثالثة تعبد الملوك والحكام. وقد أطفئت أنوار العقل فى مشارق الأرض ومغاربها. وجلس

الظلام على عروشه المتعددة واشتد ظمأ الأرض إلى الرحمة. واشتد جوعها إلى الحق. وفى هذا الجو ولد ونشأ إبراهيم. وقدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وظنون الكهنة. وعبدة النجوم والكواكب. والحكام المتألهين. وكل أنواع الشرك القائم[1].

فمنذ الطفولة يسأل عن هذه الأصنام. فيقولون له إنها تماثيل الآلهة. ويدهش إبراهيم ويحس داخل عقله المضيء بالرفض. فقد كان يلعب وهو طفل بهذه التماثيل ويمتطى ظهورها. مثلما يمتطى الناس ظهور الحمير والبغال. وأمره أبوه يومًا ألا يلعب بهذه التماثيل. ويتعجب الطفل من هذه الآلهة الكثيرة المصنعة من الخشب أو الحجر. والتى يصنعها الإنسان العاقل بيده ثم يسجد لها بعد ذلك وهو أحق منها بذلك – ولعياذ بالله – لأنه صانعها. ثم إنه حى يأكل ويشرب ويتنفس. وينفع غيره ويضره. أما هى فميته. لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تدافع عن نفسها. ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جانبها. وعذب التفكير إبراهيم طويلاً.

وكان فى وسط المحراب توضع تماثيل أكبر الآلهة. وكانت هذه الآلهة أصنافًا وأنواعًا وأشكالاً. وكان يشعر لها باحتقار عظيم. ولكن المدهش هو الناس الذين ما أن يدخلوا المعبد حتى يخفضوا رؤوسهم ويحنوا ظهورهم بل ويبكون. ويسألون. وهى لا تسمع ولا تفهم. والمنظر يبدو مضحكا. ولكنه بدأ يحس بالغضب. بل ويصرح باحتقاره وكراهيته وثورته على ما يحدث فقال لهم: ﴿ **مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ويسألهم ﴿ **هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** ﴾ [الشعراء: ٧٣] ويسأل أباه ﴿ **قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٤٢].

وقد دخل إبراهيم عليه السلام على أمه مهمومًا محزونًا وسألها فى اهتمام بالغ: يا أمى من ربى؟ قالت: أنا ربك. ألست مربيتك ومطعمتك وساقيتك وراعيتك. فسألها: ومن ربك أنت؟ قالت: أبوك. فهو الذى يرعانا ويطعمنا ويسقينا. فسألها: ومن رب أبى؟ فهو يريد أن يصل إلى الرب الأعلى وإلى الرب غير المربوب الذى يُطعِم

---

(١) أنبياء الله – أحمد بهجت.

ولا يُطعَم ويجير ولا يجار عليه. فقالت: النمرود: أى الحاكم – الذى يوفر لنا أسباب الحياة. فسألها ومن رب النمرود؟ فقالت له: كف عن هذا يا إبراهيم!.

ولكن هذه الإجابة لم تقنع نهمه نحو المعرفة واليقين. فخرج إلى الكون بسمائه وأرضه ونجومه وكواكبه وبحاره وأنهاره ليسأله ويستوضحه ويتعرف منه. ويُعرف قومه من خلاله. من هو الخلاق العليم الذى يستحق العبادة ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ *فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: ٧٥ – ٧٩] وهذا المقام مقام مناظرة لقومه. وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة لا تصلح للألوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل. لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مسخرة. تطلع تارة وتأفل أخرى.. فتغيب عن العالم والرب تعالى لا يغيب ولا تخفى عليه خافية. بل هو الدائم الباقى بلا زوال.

فبين لهم أن الكواكب لا تصلح لذلك ثم ترقى منها إلى القمر الذى هو أضوأ منها وأبهى. ثم ترقى إلى الشمس التى هى أشد الأجرام المشاهدة ضياءً وسناءً وبهاءً. فبين أنها مسخرة مسيرة كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٧] ثم وضح لهم أنه لا يبالى من هذه الآلهة الزائفة التى يعبدونها من دون الله. فإنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعقل. بل هى إما مخلوقة مسخرة أو مصنوعة منحوتة أو محفورة منجورة.

ثم أراد إبراهيم عليه السلام أن يرتقى فى معرفته بربه وأن يرى رأى العين قدرة ربه تعالى على أحياء الموتى فقال: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ**

اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
[البقرة: ٢٦٠]

أى أمره الله أن يأخذ أربعة من الطير. قيل طاووس وحمامة وغراب ويمامه وأن ينظر إليهن جيداً أو أن يتبين ملامحهن ثم يذبحهن ويقطعهن ثم يخلط اللحم باللحم والعظم بالعظم والدم بالدم والريش بالريش. ثم يفرق أجزاءها على الجبال. ثم ينادى على كل طائر باسمه. فإنها ستطير إليه بحيث يجتمع اللحم إلى اللحم والعظم إلى العظم والدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى يكتمل كل طائر أمامه ثم يأتينه سعياً. وحينيئذ يكون قد رأى الميت يعود حيًا. بقدرة رب العالمين. ففعل. ونادى الطيور فعادت إليه صحيحة كأنها لم تذق للموت طعما.

● **إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام:**

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٨٣ – ٩٨]. وفى سورة الأنبياء أنه حطم تلك الأصنام وقال لهم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ – ٧٠].

أى أنه أنكر على قومه عبادة الأصنام وحقرها وصغرها وتنقصها. وكانت حجتهم فى عبادتها صنع الآباء والأجداد. فأعلن عداوتها وتبرأ منها. فلو كانت تضر لضربته. أو تؤثر لأثرت فيه. فقد كان لهم عيداً يذهبون إليه فى كل عام مرة. فدعاه أبوه ليحضره. فقال: إنى سقيم. أى عرَّض لهم فى الكلام حتى توصل إلى مقصوده.

فلما خرجوا إلى عيدهم. ذهب إلى الأصنام فوجدها فى بهو عظيم وبين يديها ألوانًا من الأطعمة. فقال لهم متهكمًا مزدريا «ألا تأكلون» ثم أخذ فى هدمها حتى جعلها حطامًا. إلا كبيرًا لهم. ثم وضع القدوم فى يد ذلك الكبير. إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار.

فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حل بآلهتهم تساءلوا عمن فعل هذا بها؟ فأجاب بعضهم. إنه إبراهيم الذى يذكرها بالسوء والتنقص والوعيد. فقضوا وحكموا بإحراقه على أعين الناس.. وشرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما أمكنهم من الأمكنة.. ثم عمدوا إلى منطقة واسعة ووضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيها النار. فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله.

ثم وضعوا إبراهيم فى منجنيق وأخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. ثم قذفوه فى النار وهو يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. وهنا عرض له جبريل عليه السلام فى الهواء. وقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا. فقال إذن فاسأل الله. قال علمه بحالى يغنيه عن سؤالى. وجعل ملك المطر يقول: متى أومر فأنزل المطر؟ فكان أمر الله أسرع. فقال تعالى: ﴿ **يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ فإذا بها بردًا وسلامًا عليه فلم تحرق منه إلا قيوده. حتى خرج منها سليمًا معافًا برحمة الله رب العالمين.

وتوكل على الرحمن فى الأمر كله ... فما خاب حقًا من عليه توكل
وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

* * *